مدخل

«الملة الصادقة» الأرمن تحت الحكم العثماني

الدعاية الأرمنية وحملة الكراهية والتشويه ضد الأتراك وتركيا

obeikandl.com

obeikandl.com

«الملة الصادقة»
الأرمن تحت الحكم العثماني

ضمت الدولة العثمانية (١٢٩٩ – ١٩٢٣م) في كيانها السياسي مجموعات كبيرة من التشكيلات الإثنية والأقليات العرقية، وكان فسيفساء الشعوب التي تحكمها بمثابة لوحة من الموزاييك استمرت بديعة المنظر فترة من الزمان، توحي بالتناسق والتناغم، طالما بقيت الدولة قوية، وقليلًا ما كانت تظهر الثورات والتمردات في المناطق المكتظة بالأعراق المختلفة، مثل برميل البارود المسمى «شبه جزيرة البلقان»، والتي كانت تمثلها الولاية العثمانية «إيالة الروملي».

وكان الأرمن إحدى هذه الأقليات التي ضمتها الدولة العثمانية، لكنها كانت أقلية متميزة، إذ عرفت بـ "الأمة المخلصة"، أو بالتعبير العثماني "مللت صادقه" نظرًا للمكانة التي تبوأتها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فعلى الصعيد السياسي تواجد الأرمن في المناصب الحكومية المختلفة وبشكل أكثر كثافة في السلك الدبلوماسي؛ نظرًا لمهارتهم في الترجمة وإتقانهم للغات، ونال بعضهم درجة الوزارة، وحتى نائب الصدر الأعظم، وهو بمثابة نائب رئيس الوزراء.

وعلى الصعيد الاقتصادي كان «الأمراء» الأرمن في العاصمة وفي الريف الأناضولي بمثابة «الإقطاعيين» وكبار ملاك الأراضي أو «الملتزمين» وكذلك مثلوا معظم أفراد طبقة مقرضي الأموال «المرابين»، ونافسوا في ذلك اليهود، حتى أن دار السكة- ضرب العملة- كانت إدارتها لفترة زمنية طويلة؛ حكرًا على الأرمن، بالإضافة إلى النواحي التجارية الداخلية والخارجية؛ إذ كان من الأرمن

كبار المصدرين والمستوردين، وربما انفرد الأرمن بتأسيس الشركات الدولية ذات الأفرع المنتشرة في عدة عواصم أوروبية وآسيوية.

أما في النواحي الاجتماعية والدينية فقد عاش الأرمن- المسيحيون- تحت المظلة العثمانية الإسلامية، ليس كأقلية دينية، وإنما كطائفة أو ملّة لها حقوق المواطنة من الدرجة الأولى، وذلك حتى من قبل الفتح العثماني للقسطنطينية، وبدء الكيان الرسمي بالفرمان السلطاني لمحمد الفاتح بإنشاء البطريركية الأرمنية في العاصمة العثمانية الجديدة «إستانبول» عام ١٤٦١م، وأصبح البطريرك الأرمني مسئولًا عن الموظفين والإدارة الروحية والتعليم العام، وكذلك المؤسسات الدينية والخيرية لطائفته.

وفوق ذلك كله بعد انحسار الدور اليوناني في الإدارة والمؤسسات العثمانية إبّان ثورة اليونان وانسلاخها عن الحكم العثماني، ازداد نشاط الأرمن، كما ازداد اعتماد الحكومة العثمانية عليهم في ملء الفراغ الذي تركه الرعايا اليونانيون.

إلا أن النشاط الأرمني خارج الحدود، وعلاقاتهم المتشعبة والمنفتحة مع عدة دول وقوى كبرى، سهل انتقال الأفكار القومية والثورية إليهم، كما أن «حمّى القومية» التي اشتدت سخونتها عقب الثورة الفرنسية، و«الجامعة السلافية» التي كان يعلو صوتها عقب كل هزيمة عسكرية يتلقاها العثمانيون على يد الدب الروسي وأخيرًا وليس آخرًا لعبة توازن القوى التي كانت تمارسها الدول الكبرى للحفاظ على نفوذها السياسي ومصالحها الاقتصادية وطرق مواصلاتها مع مستعمراتها الآسيوية والإفريقية؛ كل ذلك جعل الأرمن ورقةً رئيسية في هذه اللعبة السياسية، خاصة وهم مسيحيون، يتوزعون على المذاهب المسيحية الثلاثة التي تمثلها هذه القوى المتباينة: الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية.

ولا يمكننا أيضًا إغفال الدور الرئيسي والمحرك الأساسي للكنيسة الأرمنية التي كانت بمثابة الوطن الأم لكل الأرمن، سواء في المهجر المنتشر عبر دول العالم كله، أو تحت الحكمين العثماني والروسي؛ إذ مثلت الكنيسة الأرمنية منبعَ الدعم الروحي، ومركز الحركة القومية، ومحرك أو محرض الثورات والتمردات ضد الحكم العثماني. أضف إليها النشاط التبشيري لمختلف المذاهب المسيحية والذي كان مرتبطًا بشكل وثيق مع المصالح السياسية للدول التي تدعم هذه الإرساليات التبشيرية.

ومع ظهور أعراض النهاية على الدولة العثمانية، واعتبارها رجل أوروبا المريض، والمحاولات الإصلاحية العثمانية المعروفة بـ «التنظيمات»، والتي كان من سلبياتها- التي فاقمت سرعة انهيار الدولة- إعطاؤها امتيازات واسعة للأقليات، التي سرعان ما تعالى صياحها في أول جلسة للبرلمان العثماني- إبّان حكم السلطان عبد الحميد الثاني- مطالبة بالانفصال عن الدولة، وهو ما يعني انهيارها بشكل رسمي.

أما الأرمن، فلم يكتفوا بالمطالبة- عبر نوابهم البرلمانيين- بالانفصال أو الحكم الذاتي، بل أعلن نائب أرمني بكل صراحة- في البرلمان الجديد في عهد الاتحاديين- أنه أعد ستين قنبلة وفجَّرها في العهد الحميدي، وأنه الآن يعد القنبلة رقم واحد وستين. وكان الرجل صادقًا، إذ أنه كان أحد كبار قواد التمردات الأرمنية التي اشتعلت في ولايات شرق الأناضول الستة، التي يتواجد فيها الأرمن، وهي ولايات: بتليس، أرضروم، فان، خربوط، سيواس، ديار بكر.

وكانت قمة التصاعد الدرامي للأحداث قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى، إذ كانت بعض الولايات الست المذكورة ذات حدود مشتركة مع روسيا العدو

الأساسي للعثمانيين في الحرب المذكورة، وكانت روسيا في أحد أطوار القضية الأرمنية داعمًا كبيرًا في اتجاه الانفصال الأرمني عن الدولة العثمانية، وتوَّجت هذا الدعم بإمداد الثوار الأرمن بالمال والسلاح، ورد الأرمن الجميل للروس بإمدادهم بالمعلومات والرجال، والعمل كطابور خامس للقوات العثمانية خلف خطوط الجيش العثماني، مما اعتبرته الحكومة العثمانية جريمة خيانة عظمى، فكان قرارها بترحيل سكان المناطق الحدودية وجبهات القتال إلى مناطق داخلية مما اعتبره الأرمن وصحفهم المعارضة المنتشرة في كل اتحاد أوروبا وأمريكا؛ تهجيرًا قسريًّا أدى إلى تساقط الضحايا بأعداد مبالغ فيها. وكان ذلك ذريعة أخرى للتدخل في الشأن العثماني الأرمني باسم الإنسانية، وأوجدت الحكومات الغربية المبررَ لنفسها أمام شعوبها وأمام الرأي العام العالمي للقضاء على الدولة العثمانية «ورجل أوروبا المريض» وتقسيم تركته، عبر خلية إعلامية أنشأت خصيصًا لذلك في المخابرات البريطانية، تولى شأن المسألة الأرمنية فيها المؤرخ الشاب- حينها- أرنولد توينبي، وعلى خلفية الضغائن الموروثة ضد هذه الدولة التي كان يعتبرها الأوروبيون- حكومات وشعوب ودارسون- زائدة لحمية نبتت على وجه أوروبا فشوّهته، ويجب إزالتها. وكانت ممثلة للدين الإسلامي الذي اعتبروه أيضًا تقليدًا غير متقن لليهودية وتعديلًا غير صحيح للمسيحية، وثورة لقبائل بدائية همجية هي القبائل العربية.

وذلك ما اعترف به المستشرق «مالكولم ياب» في إطار دعوته لإعادة تقييم وكتابة تاريخ الدولة العثمانية من وجهة نظر محايدة، وبعيدًا عن موروثات الماضي، واعتمادًا على المصادر الوثائقية التي تذخر بها الأرشيفات العثمانية في إستانبول/ تركيا، ومعظم الدول التي حكمها العثمانيون.

الجذور التاريخية والواقع والمستقبل السياسي

وإذا كانت النهاية الرسمية للقضية الأرمنية/ العثمانية في مؤتمر لوزان ١٩٢٣م، إلا أن القضية مستمرة على المستوى الرسمي، إذ ما زال الأرمن كشعب محب للهجرة يعيش فيما يسمى «الدياسبورا» أو الشتات يبذل جهوده الحثيثة لنشر قضيته من خلال جمعياته ومؤسساته الخيرية والفنية والثقافية، وحتى من خلال الضغوط السياسية للوبي الأرمني في الدول الأوروبية والولايات المتحدة، بل تجاوز الأمر إلى ظهور جماعة مسلحة أرمنية تمارس أنشطتها ضد الأهداف التركية والدبلوماسيين الأتراك، مثل جماعات: الطاشناق والهنشاق والنرسس والجيش السري الأرمني «أسالا» والتي تركزت أنشطتها في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين.

أما الأنشطة على المستوى السياسي والرسمي فبرز بعد ميلاد دولة أرمينيا المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق، ومطالبها بأراضي شاسعة في الأناضول باعتبارها ممثلة لمملكة أرمينية التاريخية، وانتزاعها اعترافات سياسية من عدة دول بما اعتبرته «مذابح» ، و«إبادة جماعية للأرمن» وكانت تلك ورقة لعب للضغط على تركيا ومنعها من الدخول في الاتحاد الأوروبي. ومن ناحية أخرى لعبة التوازن والمصالح الإستراتيجية- خاصة الأمريكية- في منطقة القوقاز ومنابع النفط فيها، بعد الفراغ الأمني والأيديولوجي الذي خلفه السقوط المفاجئ للاتحاد السوفيتي.

محورية القضية الأرمنية

والقضية الأرمنية قد تبدو للسامع قضية تاريخية ذات خصوصية مرتبطة بالزمان والمكان الذي نشأت فيه، لكن القارئ لا يكاد يطالع بعض أبعادها حتى يدرك أنها قضية محورية، ثم لا يزال يقف على تفاصيلها ويدرك بعض حقائقها؛ حتى يجزم أنها قضية قياسية، بمعنى أنها تصلح لتكون أنموذجًا تاريخيًّا متكررًا في معظم جوانبه

للعديد من القضايا والمشكلات التي تواجهها الدول إبّان صعودها وهبوطها، وتقدم الكثير من التفاصيل المتكررة والمعادة في تصرفات القوى الكبرى تجاه من يسقط في حلبة السباق الدولي.

فرغم خصوصية الأقلية الأرمنية التي عاشت في كنف الدولة العثمانية، وصار لها نظام ملّي خاص اعترف به السلطان محمد الفاتح عقب فتح القسطنطينية ١٤٥٣م، ومرورًا بالتغيرات التي طرأت على طوائف الأرمن حتى الحرب العالمية الأولى، والاتهامات الموجهة ضد حكومة الاتحاد والترقي- تركيا الفتاة- بتنظيم وتنفيذ مخطط لإبادة العرق الأرمني في تركيا؛ إلا أن خصوصية هذه القضية نراها تكاد تنطبق على معظم قضايا الأقليات والدول المتعددة الإثنيات.

ولكن بعد أن بدا حتميًّا للدول الكبرى تنفيذ سياسة التخلص من رجل أوروبا المريض وتقسيم تركته؛ حتى كان الأرمن إحدى أوراق اللعبة الدولية، فقد بدأ التدخل في شئون الدولة العثمانية من قبل روسيا وفرنسا وبريطانيا باسم حماية المسيحيين، وصارت رعاية شئون الأقلية الدينية من أبرز وسائل التدخل عبر سلسلة من الامتيازات وبنود المعاهدات والاتفاقيات، كما أن الضغوط الدولية دفعت الدولة العثمانية نحو تسريع معدلات الإصلاحات والتنظيمات، والتي كانت نتائجها عكسية بالنسبة للأقليات، خاصة الأرمن الذين استفادوا من الميزات والحريات الممنوحة لهم؛ فسارعوا- هم أيضًا- من معدلات تمردهم على الدولة بدلًا من تقوية الانتماء إليها والارتباط بها، وكان مبدأ تصدير الثورة قد ظهر مبكرًا عقب الثورة الفرنسية، وكان المتعلمون الأرمن في طليعة من حمل هذا الفكر الثوري؛ لينظموا الجماعات المعارضة والداعية للثورة، وإنشاء الجمعيات والخلايا التنظيمية لتعبئة الأرمن للتمرد، سواء داخل الدولة أو خارجها.

وقد أثبتت الرابطة الأيديولوجية أنها أقوى من رابطة المواطنة؛ إذ كثيرًا ما كانت الجيوش الروسية تحتل بعض المناطق الحدودية من الدولة العثمانية، ثم تعلن الهدنة وتعقد المعاهدات التي ينسحب على إثرها الجيش الروسي، وينضم إليه في انسحابه الكثير من الأرمن طمعًا في فرصة أفضل، ويتركون بقية الأرمن عرضة لاحتقار وانتقام المسلمين الذين استفزهم انضمام مواطنيهم الأرمن للقوات الغازية، إخوانهم في العقيدة الأرثوذكسية.

وقد كان للمبشرين ولبطاركة الكنيسة الأرمنية واللوبي الأرمني في الخارج؛ دورًا كبيرًا في تضخيم القضية الأرمنية إلى جانب دور البروباجندا الإعلامية الموجهة سياسيًّا.

كل هذه الأسباب وغيرها من تفاصيل القضية الأرمنية نجدها تعيد نفسها مع تغيرات طفيفة في الزمان أو المكان أو المسميات. وعلى سبيل المثال في مصر نجد من يثير فتنة طائفية لأسباب تافهة سرعان ما يضخمها الإعلام العالمي ويؤججها أقباط المهجر، ثم يصدر الكونجرس الأمريكي قانونًا لحماية الأقليات الدينية، وتجد الدول الكبرى السبيل- عبر المناداة بحقوق الإنسان وحقوق الأقليات- للتدخل في الشأن المصري، والتأثير على القرار السياسي، وانتزاع بعض المزايا لصالح هذه الأقليات، مما يزيد من حنق الأكثرية ويشعل النيران تحت الرماد.

والحال نفسه متكرر في بعض جوانبه لدى حزب الله الشيعي في لبنان الذي أعلن كبار مسئوليه أن ارتباطهم الأقوى والمباشر هو مع المرشد الأعلى للثورة الإيرانية في طهران، وليس مع أي فصيل سياسي داخل لبنان.

كما أن التَّماسَ الحدودي بين الخليج العربي وإيران في العراق يوازيه تماسٌّ بين كتلتين شيعية وسنية، امتد تأثيرها الثقافي والعقائدي والثوري على طول الخليج

والجزيرة العربية، مع اتهامات قوية لإيران برفد ودعم شيعة المنطقة العربية في إطار مشروعها لنشر التشيع في المنطقة، ولعل من أبرز الأدلة التي يسوقها المطالعون- بالإضافة إلى حزب الله اللبناني- هو التيار الصدري في العراق، والتمرد الحوثي المسلح في اليمن، وأحداث مملكة البحرين التي استدعت تدخل قوات درع الجزيرة لأول مرة منذ تكوينها.

ويمكن للمتابع أن يسوق الكثير من الأمثلة والنماذج عبر العالمين العربي والإسلامي، والتي تتشابه مع أكثر من عنصر من عناصر القضية الأرمنية.

لذا؛ نعود للتأكيد على أن القضية الأرمنية هي قضية محورية تصلح أن تكون أنموذجًا مرجعيًّا لتأطير القضايا المشابهة لها؛ سواء في ملاحقة البدايات، أو متابعة التطورات أو رصد المتغيرات والمؤثرات، أو وضع سياسة المواجهة والمعالجة، وكأن القضية الأرمنية بعناصرها هي صياغة عملية لنظرية سياسية في التدخل والثورة والاستمرارية والمعالجة.

بقيت ملاحظة أخيرة ألفت إليها انتباه القارئ، هي أن الصور الواردة في كتابنا هذا وما عليها من تعليقات، مأخوذة من مذكرات مورجنثاو المنشورة بالإنجليزية.

openkanal.com

الدعاية الأرمنية
وحملة الكراهية والتشويه ضد الأتراك وتركيا

تلعب الدعاية بشكل أساسي على المشاعر، حيث غالبًا ما تتحدى العقل والحقائق، وذلك كي تتمكن من الوصول إلى نفسيات الشعوب والسيطرة عليها، فالدعاية لعبة ذهنية؛ يقوم الدعائي الناجح باللعب على أكثر المشاعر عمقًا لديك؛ كي يستغل أشد مخاوفك واتجاهاتك المسبقة.

ويقدم « أنطونيو بارتكانيس» و «إليوت أرونسون» تعريفًا للدعاية الحديثة على أنها: «إيحاء أو تأثير جماعي ينشأ عن التلاعب بالرموز وبنفسية الأفراد. وتتضمن الدعاية البراعة في استخدام الرموز والصور والشعارات التي تؤثر على عواطفنا وعلى اتجاهاتنا، إنها عبارة عن إيصال إحدى وجهات النظر، على أن يكون الهدف النهائي من هذا هو حمل المتلقي على القبول طواعية كما لو أنها وجهة نظره الخاصة».

كما أن إطلاق مصطلحات معينة على الأشياء يعد سلاحًا آخرَ اختياريًّا في يد مسئول الدعاية، ففي الحرب العالمية الأولى تم إطلاق مصطلح «الهون» على الألمان ينسبهم إلى قبائل النونيين البرابرة. بل وأطلقت أيضًا هذه الصفة- البرابرة- على كل دول المحور وضمْنُهم الأتراك.

ويقترح العالمان النفسيان براتكانيس وأرونسون أربع استراتيجيات تساعد على نجاح العملية الدعائية:

١- مرحلة ما قبل الإقناع: وهي عبارة عن خلق مناخ يساعد على تصديق الرسالة المراد توصيلها إلى الناس.

٢- مصداقية المصدر بأن يكون مبلغ الرسالة محبوبًا أو موثوقًا به.

٣- أن تركز الرسالة على أهداف بسيطة وقابلة للتحقيق.

٤- إثارة المشاعر وتقديم رد الفعل المطلوب[١].

وهي- تقريبًا- نفس الإستراتيجية الدعائية التي اتبعها الأرمن في نشر قضيتهم. ظلَّ ادّعاء الإبادة الجماعية للأرمن لعقود طويلة لا يخضع لأي دراسة تاريخية صارمة، ولا باستخدام منهج أمين شديد الثقة يستخدم الشك للوصول إلى الحقيقة الموثوقة، كما خضعت الدولة العثمانية على النقيض لدراسات ومراجعات سيئة في الغرب عمومًا لقرون طويلة، والسبب في ذلك يرجع بشكل جزئي إلى كونها دولة مسلحة، ولفتوحاتها العسكرية في أوروبا. كما أنها قد اتخذت بعد ذلك وأعلنت كعدو رسمي لبريطانيا وفرنسا وروسيا أثناء الحرب العالمية الأولى، وهي- أيضًا- عدو واقعي للولايات المتحدة الأمريكية.

وهكذا.. كان الغرب مهيئًا لقبول الادعاءات الأرمنية، إذ أن هذه الادعاءات تعزز وجهة نظرهم السطحية جدًّا والانتقامية للأتراك، والتي كانت قد غرست لمدة قرون[٢].

(١) هربرت أ. شيللر: المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، مسلسل (٢٤٣)، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

(2) Bruce Fein , Op. Cit., P

obeikandl.com

وقد برع الأرمن في مسألة الدعاية تلك، كما برعوا في العديد من مجالات الحياة الأخرى كأقلية في المهجر الذي امتد إلى معظم بلدان العالم منذ فترات تاريخية بعيدة[١].

وحمل الأرمن معهم الصفات التي يتميز بها الأقليات- في الكثير من الأحيان- حيث محاولة تعويض النقص العددي والاغتراب والشعور بالدونية في المواطنة، و...، محاولة تعويض ذلك بالبروز والتميز، من خلال النجاح في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من مناحي الحياة.

تميز الأرمن في مجالات الطباعة والصحافة والترجمة والمسرح، فكانوا من روادها في الدولة العثمانية، وفي مجال التعليم والابتعاث إلى الخارج والتشبع بالفكر القومي

(١) في مدينة فيلاديسفوستك الروسية، وهي ميناء حدودي يقع بالقرب من الصين وكوريا، وتطل على بحر اليابان، كانت إحدى محطات رحلة عبد الرشيد إبراهيم، وقبل أن يغادرها في ٢٥ يناير ١٩٠٩، يحكي لنا هذه الواقعة ذات المغزى العميق، فيقول: «توجهت إلى الفندق الذي أنزل به، وبعد أن استرحت قليلًا تناولت قدحًا من الشاي، وفي هذه الأثناء وصل صاحب الفندق وفي يده جريدة، فقال لي:
- ألا تستطيع أن تقرأ هذه الجريدة؟
- أي جريدة هذه؟
- جريدة أرمنية.
- ياه، هل أنت أرمني؟
- نعم أرمني، إلا إنني ولدت هنا، وتربيتي هنا، ولهذا السبب لا أعرف اللغة الأرمنية.
- أين وجدت هذه الصحيفة؟ بل أين تصدر؟
- لقد أرسلت النقود لكي أساعد بقدر استطاعتي، ولكنني لا أستطيع القراءة يا للأسف، وهذه الجريدة تصدر أصلًا في القوقاز.
- ماذا تفعل بالجريدة وأنت تجهل القراءة والكتابة؟ تدفع النقود فما لزوم الدفع!؟
فلتكن النقود قليلة؛ إلا إنها تنفع الأمة في النهاية، وهذا هو مقصدي.
ويعلق عبد الرشيد إبراهيم على هذا الحوار بقوله: فلتكن القومية هكذا.. وأخيرًا يقول: أنا أعرف شكل الخط الأرمني، إلا أنني لا أعرف القراءة. ومع ذلك أخذت الجريدة بيدي، ونظرت فيها قليلًا، فوجدت بعض الإعلانات بالروسية، فقرأتها له، وبهذا القدر كان الأرمني سعيدًا. عبد الرشيد إبراهيم: العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين، ترجمة: أحمد فؤاد متولي، وهويدا فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م، ص: ٢٩٣-٢٩٤.

والليبرالي- إذا جاز التعبير في تلك الفترة- وما صاحبه من إنشاء أندية وجمعيات وأحزاب وجماعات معارضة، وداعية إلى التحرر والانفصال والاستقلال.

ومن خلال ذلك كله - وغيره - اكتسبوا خبرات واسعة في مجال الدعاية والبروباجندا.

ووفقًا للقاموس السياسي فالبروباجندا هي كلمة لاتينية أول من استخدمها هو الأب جريجوري الهامس عشر ١٦٢٢م، حيث أسس ما عرف بالدعاية الجماعية المقدسة : Sacred Congregational Propaganda ، وهي مفوضية- لجنة- صممت لنشر العقيدة الكاثوليكية في العالم. ومنذ ذلك أُخذت البروباجندا بمعنى واسع، وهو نشر أي تكنيك في الكتابة والخطابة والموسيقى والسينما والوسائل الأخرى، بهدف التأثير على الرأي العام[1].

وهو ما يشير إلى ارتباط البروباجندا والدعاية بالكنيسة، تلك الكنيسة التي ارتبط بها الأرمن، وكانت محور حياتهم، والفلك الذي تدور حوله شموس هذه الحياة وأقمارها، إذ ارتبطت الفنون والآداب بالكنيسة كذلك العمارة والتعليم والصحافة والزعامات القومية والوطنية حتى الثورية.

وقد أدرك قادة الأرمن منذ البداية انتقاد قضيتهم لمبررات ومسوغات النجاح؛ حيث لم يمثلوا أغلبية سكانية في المناطق التي يسكنونها وينادون بأن تكون ذاتية الحكم أو مستقلة. كما أن القاعدة الشعبية والجماهيرية لم تكن قاعدة عريضة ولا ذات مشاركة فعالة في أول الأمر؛ لدعم وتأييد هذه القضية، حتى هذه الأحزاب نفسها لم تملك الأيديولوجية الراسخة التي تدعم وتدفع القضية أو تقنع الجماهير باعتناقها، وهو ما يتضح في برامج هذه الأحزاب التي ركزت على الدعاية

(1) Political Dic, Fast Time, Inc.

والبروباجندا، وكسب تأييد الجماهير في الداخل، ولكسب تأييد الرأي العام العالمي في الخارج، وكذلك تعويض الركائز الهشة للقضية، بدعم القوى والدول الكبرى، وباستغلال الأطماع الأوروبية في تركة الرجل المريض، والطموحات الروسية في الجامعة السلافية، وذلك باتّباع النموذج البلغاري، حتى تطور الأمر، فصار الأرمن هم الحلفاء الصغار للقوى الكبرى في الحرب العالمية الأولى.

وقد تزعمت بريطانيا القوى الكبرى المؤيدة لانقسام تركة الدولة العثمانية، كما تزعمت الحركة المعادية للأتراك المسلمين على الأخص في ظل حكومة جلادستون وخلفائه في حزب العمال. وكانت الصحافة البريطانية تشن حملات شعواء ضد السلطان العثماني ودولته.

وقد أمدتها القضية الأرمنية بمادة سخية في شحذ الرأي العام البريطاني والأوروبي وتهيئته لتأييد الحرب ضد هذه الدولة، التي كان يراها الغرب بمنظار خاص.

هذه الدعاية الصارخة كان لها أثرها وتاريخها في الولايات المتحدة الأمريكية كما وصفها المفكر اليهودي الأمريكي ناعوم تشومسكي[1]، وأوضح جوانب كثيرة من هذا التاريخ نتجت عن الحرب العالمية الأولى التي كانت نقطة تحول كبيرة غيرت

(١) مما يدعو للدهشة والحذر كذلك، موقف هذا المفكر من القضيتين الأرمنية والفلسطينية، ولكننا نقبل هنا ما وصفته به الصحف: «أهم مفكر على قيد الحياة هكذا وصفته (نيويورك تايمز) يضاهي سيجموند فرويد، وألبرت أينشتين. هكذا قالت عنه صحيفة بوسطن جلوب، وهناك دراسة ذكرته أنه «أكثر شخص على قيد الحياة يتم الاستشهاد بأقواله، ويحتل المركز الثامن تاريخيًّا ضمن قائمة العشرة الأوائل من الأعلام الذين يُستشهد بأقوالهم على مر العصور. إنه نعوم تشومسكي اليهودي الأمريكي- من أصل روماني- المناصر للقضايا العربية والمدافع عن قضية فلسطين والمعارض الشرس لحرب فيتنام وغزو العراق والاعتداء المباشر أو المستتر على دول أمريكا اللاتينية. يعتبر تشومسكي مناهضًا عنيدًا لدور الدولة الأمريكية في توجيه الإعلام والسيطرة على مفاتيحه، وهو يناقش في مؤلفاته ومحاضراته مدى خطورة الإعلام الموجه، ويصفه بالآلة الجهنمية التي توجه الرأي العام.

من وضع الولايات المتحدة في العالم. ففي القرن الثامن عشر، كانت الولايات المتحدة بالفعل أكثر البقاع غنى، وبكل هذه المميزات ومع نهاية القرن الـ ١٩ كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك الاقتصاد الأغنى، لكنها لم تكن اللاعب الأكبر في المشهد العالمي.

وخلال الحرب العالمية الأولى تغيرت العلاقة بشكل أكثر درامية، فصحيح أن الولايات المتحدة تمت لها السيادة بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن تغيرًا حقيقيًّا بدا بعد الحرب العالمية الأولى؛ إذ كانت المرة الأولى التي تشهد فيها البلاد- الولايات المتحدة الأمريكية- دعاية منظمة من قبل الدولة[١].

كان للبريطانيين وزارة للمعلومات، وكان بحاجة فعلية لذلك ليضمنوا دفع أمريكا للدخول إلى الحرب، وإلا واجهوا مشكلة صعبة. كانت مهمة تلك الوزارة بالأساس إرسال الدعاية التي تضم اختلافات كبيرة عن وحشية «الألمان المحبين للتدمير».

ويستمر تشومسكي: «أما في الولايات المتحدة نفسها فكان نظيرهم الرئيس ويلسون الذي انتخب في ١٩١٦ على أساس معاداة الحرب، الولايات المتحدة كانت دولة سلامية.. الناس لم تكن ترغب في حروب خارجية، كانت معارضة تمامًا للحرب العالمية الأولى، وكان انتخاب ويلسون مرتبطًا بهذا الأمر.. فقد كان شعار البلاد وقتها هو «السلام دون انتصار»، ولكن ويلسون كان ينوي الذهاب للحرب، وبقي السؤال: كيف يمكنك أن تحول شعبًا يبغي أفراده السلام إلى مجانين مناهضين للألمان، ولديهم الرغبة في الذهاب لقتلهم؟! إن ذلك يستدعي دعاية- بروباجندا-.

(١) نعوم تشومسكي: تواريخ الانشقاق، حوارات أجراها: ديفيد بارساميان، ترجمة: محمد النجار، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط : ١ ، ١٩٧٧، ص: ٢٢٣.

obeikandi.com

وهكذا أنشأت الدولة أول وكالة دعاية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية «لجنة المعلومات العامة» التي سميت أيضًا لجنة « كريل Creel»؛ لأن الشاب الذي أدارها كان يدعى كريل، وكان مهمة اللجنة أن تقوم بالدعاية بين الناس لتخلق حالة من الهستيريا السوفيتية- أي الغلو في الوطنية- ووصفها المعلقون بأنها عملت بشكل رائع؛ ففي غضون شهور قليلة كان سعار الحرب يجتاح البلاد، وأصبح بإمكان أمريكا الدخول للحرب[١].

وكانت الدعاية في المجال غير الصحفي متمثلة في الكتب الأربعة الأكثر شهرة التي نشرت في عواصم الحلفاء: لندن، باريس، بوسطن، بل في إحدى دول المحور- ألمانيا- وهو كتاب الدكتور القسيس ليبسوس.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وانتهاء عملية الـ Nemsis ، واغتيال القادة العثمانيين الذين اعتبرهم الأرمن هم المسئولون الرئيسيون عن التهجير وما أسموه الإبادة الجماعية؛ هدأت المسالة الأرمنية.

دوافع الدعاية الأرمنية:

أحد الأبعاد الأكثر أهمية في القضية الأرمنية هو البعد النفسي، إذ أن التحليل السيكولوجي لبواعث هذه القضية وأسبابها وعوامل تفاقمها ولأحداثها؛ يكشف الكثير من الغوامض التي أدت إلى الأحداث المأساوية التي راح ضحيتها الكثيرون أثناء فترات اشتعال هذه القضية بداية من عام ١٨٧٨م، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وهو ما يحتاج إلى دراسة مستقلة، لكننا هنا سنلقي بعضًا من الضوء على دوافع الدعاية الأرمنية التي أدت إلى إيقاظ من جديد في بلدان المهجر.

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص: ١٦٨.

العلاقات ما بين الأرمن والأتراك في المهجر سيئة للغاية، إذ يعتقد الأرمن في حقيقة واحدة مؤكدة هي أن الأتراك ذبحوا أسلافهم من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية. ادعاء الإبادة الجماعية مترسخ في نفوسهم ترسخ عقيدتهم المسيحية، فهي الحقيقة التي تثبت هويتهم الأرمنية، ويمكننا اعتبارها أقوى رابطة تجمع الأرمن في المهجر، وهي الحبل المتين الذي يعتصمون به فيربطهم ببعضهم البعض في المهجر، ويربطهم جميعًا في مهجرهم بالوطن الأم، وبالماضي الأرمني.

ويتجلى ذلك في مجالات الأعمال المختلفة التي يعمل بها الأرمن، والتي يحرصون أن تأخذ أسماء تذكرهم بالإبادة الجماعية، فنجد اسم «أرارات»- مثلًا- يتكرر كثيرًا جدًّا في أسماء المدارس والمطاعم والمحلات والشركات والمنتجات في الولايات المتحدة وكندا[1].

الأجيال الأرمنية اللاحقة لم ترَ شرف الأناضول ولا الوطن الأرمني الأم، وقد وجدت هويتها في المجتمعات الجديدة التي تعيش فيها في المهجر، وفي حياة الشتات تلك، لم يكن ثمة شيء مشترك يجمع هؤلاء الأرمن وأجيالهم الجديدة، من تقاليد أو لغة أو ثقافة مشتركة أو شيء يميزهم كأمة؛ فقد اصطبغت شخصياتهم وثقافتهم تبعًا لثقافة وهوية الدول المضيفة لهم. وعلى سبيل المثال نجد الأرمن الشباب في لندن يحتفلون بعيد الميلاد المجيد في الخامس والعشرين من ديسمبر، بينما المسنُّون الأرمن يحتفلون به في السابع من يناير وفق التقاليد الأرمنية[2].

ولكون الجمهورية الأرمنية بلادًا طاردة للسكان لطبيعتها الجغرافية والمناخية القاسية، وكذلك لمواردها الطبيعية الفقيرة؛ مما جعل الاستيعاب يتم خارج أرمينيا.

(1) Armenian Studies, Vol. I, No.:3,2001,P.: 233- 257.

(2) Armenian Studies, Vol. I, No.:3, 2001, P.: 233 -257.

وبلاد المهجر هي المستقبل للأجيال الجديدة. في مثل هذه الظروف كان من الصعب إيجاد روابط قومية سوى مشروع أو هدف قومي مشترك، وهو ما يتمثل في النجاح أو الألم، ويبدو أن كليهما كان موجودًا لدى الأرمن، أو بمعنى أصح هم قد أوجدوه، فالنجاح راجع بدرجة كبيرة إلى طبيعتهم التي اعتادت على التميز والبروز في عدة مجالات، والألم راجع إلى استعدادهم الكبير للإيمان بادعاء الإبادة الجماعية.

ومن اللافت للنظر أن الكراهية الأرمنية ضد الأتراك لم تكن موجودة بدرجة كبيرة في الجيل الأول من المهاجرين، مثلما هي موجودة وقوية في الأجيال اللاحقة، وعندما وجد الشتات الأرمني استقرارًا ما في النصف الثاني من القرن العشرين، ظهرت منظمات أرمنية جديدة معلنة عن حاجتها إلى هوية أرمنية. وقد وصلت الكنيسة الأرمنية، وكذلك الجماعات الأيديولوجية الأرمنية إلى النتيجة ذاتها، التي مؤداها أنه الأسلوب الوحيد للحصول على هذه الهوية والرابط هو الراديكالية والأيديولوجية الدينية، وكانت أحداث ١٩١٥ معينًا لا ينضب من الألم والكراهية، والروابط التي تشكل اللبنات الأولى للهوية الأرمنية في الشتات[١].

وتكثفت الأنشطة الدعائية لترسيخ ادّعاء الإبادة الجماعية، ونجحت هذه الدعاية في اختلاق كراهية ضد الأتراك أكثر عمقًا في الجيل الثاني والثالث، إذ بدت من التعليم في المراحل المبكرة، وعلى استمرار السنوات الدراسية وطوال الحياة في الكنيسة والإعلام والمنظمات الأرمنية، وامتدت عبر دول العالم، حتى صارت الإبادة الجماعية هي المبرر الأوحد لوجود وعمل الكثير من المنظمات والكنائس الأرمنية، والمصدر الأوفر والأغنى لجمع التبرعات لديها[٢].

(1) I bid.
(2) I bid.

obeikandi.com

كما نشط المهاجرون في كتابة مذكراتهم. ومن الطبيعي أنهم كتبوا تجاربهم ووصفوا الأحداث من وجهة نظرهم، وبما يظهرهم كأبطال أو ضحايا، وبما يظهر الأتراك المسلمين كشعوب همجية وبربرية بعيدة عن التحضر والمدنية والإنسانية، بما يتوافق مع الفكرة السائدة لدى الغربيين عن الأتراك والمسلمين، والتي ترسخت على مدار أحقاب طويلة وعوامل كثيرة معقدة. وكثرت هذه الكتب والمذكرات ولاقت رواجًا كبيرًا ، وصارت جزءًا لا يتجزأ من المكتبات الغربية، وترجمت إلى لغات عدة، ورَوَّجت لها المنظمات الأرمنية، بل دخلت الإبادة الجماعية إلى أروقة المؤسسات التعليمية وصارت جزءًا من المناهج الدراسية.

كما كان المجال الفني من سينما ومسرح من المجالات التي برع فيها الأرمن، وصارت أحداث ١٩١٥ ومأساة الإبادة مصدرًا رئيسيًّا في أعمالهم الفنية؛ فأنتجت أفلامًا وأعمالًا فنية أخرى عن هذه المأساة، ولاقت تلك الدراما رواجًا وقبولًا واسعًا؛ خاصة مع ما توافر لها من إمكانات إنتاجية ضخم نتيجة للتبرعات الشعبية والدعم المؤسسي من المنظمات الأرمنية، وما لقيه أبطالها من تكريم وحفاوة بالغة[1].

هكذا أعطيت القضية الأرمنية أو بالأحرى أعطى ادّعاء الإبادة الجماعية دفعة قوية، ولقي رواجًا ونجاحًا كبيرًا؛ مما جعله الموضوع الرئيسي لكل الفنانين الأرمن على اختلاف مجالاتهم ومشاربهم؛ فقد خصص المصورون الأرمن أجزاءً في معارضهم في لندن أو نيويورك في الإبادة الجماعية، وكرَّس الموسيقيون الأرمن أغانٍ عن ضحايا الإبادة، وكذلك المسرحيات والأفلام، حتى أن المخرج الكندي

(1)«Armenian in Hollywood «: Armenian Students Association Publication, 12 September, 2001.

هرانت اليانك Hrant Alyanak عندما قدَّم مسرحيته عام ١٩٩٧عن الإبادة الجماعية، قررت شركته «اليانك للإنتاج المسرحي» عرض مسرحية عن الأرمن بأنهم مساعدون ومتبرعون أسخياء[١].

من هنا صارت هناك مصالح مشتركة ما بين الفن والقضية، دخل الفن والقانون إلى عالم الاحتراف والشهرة والغنى جرَّاء عرض القضية، ودخلت القضية عالم الفن والسياسة والمجتمع عن طريق هؤلاء الفنانين، وحظي الجميع- المنظمات والفنانون والقضية- بمكانة راقية في المجتمع ودعمًا سخيًّا يدفع لمواصلة النشاط والرواج.

ونعرض فيما يلي لنماذج من المؤسسات الفنية الأرمنية وأنشطتها:

١- مؤسسة الفيلم الأرمني The Armenian Film foundation :

وهي من كبرى المنظمات الأرمنية الدعائية- إن لم تكن أكبرها على الإطلاق-، تأسست عام ١٩٧٩م، على يد ميخائيل أو مايكل هاجوبيان Michael Hagopoan، وقد قامت بإنتاج وتوزيع أفلام عن القضية الأرمنية فقط، وهي مؤسسة غير ربحية- أي أنها منظمة أرمنية تستخدم الفن فقط مجالاً لعملها ونشر أفكارها، تستفيد من الإعفاء الضريبي، وجمع التبرعات لدعم أنشطتها، مقرها الأساسي في ولاية كاليفورنيا، والجمهور المستهدف الرئيسي لها هم الطلاب؛ إذ تعمل المنظمة في المجال التعليمي والثقافي، وتنتج أفلامًا تعليمية، وتقدم منحًا تعليمية للطلاب الأرمن، وكذلك الطلاب من أقليات عرقية لها ظروف مشابهة للقضية الأرمنية لضمان الدعم المعنوي والجماهيري من هذه الأقليات.

(1) Hrag Vartanian: «The Armenian Stars in the Canadian Cultural universe». www.agbu.org,

تقوم هذه المؤسسة بعمل حملات ترويجية لمنتجاتها في الكثير من دول الغرب، ولها عدة مواقع على شبكة الإنترنت يتضح من بياناته عدد زوارها ومشتركيها أنها نالت رواجًا ونجاحًا كبيرًا.

كما قدمت المؤسسة منحًا ومساعدات ودعمًا فنيًّا وتكنولوجيًّا لعدد من المخرجين الأرمن في أعمالهم الخاصة بالقضية الأرمنية.

كان من أبرز مشاريع المؤسسة إنشاء أرشيف للفيلم الأرمني، متاح لكل المنظمات الإعلامية والباحثين في الدول التي لها فروع أو اتصالات بها مثل: بريطانيا، اليابان، أستراليا، البرازيل، إسرائيل.

وللمؤسسة فريق كبير من الخبراء يشارك في الكثير من المؤتمرات داخل الولايات المتحدة وخارجها؛ بعرض وجهة نظر المؤسسة، ويعرض أفلامها كذلك.

كما تنظم المؤسسة مهرجانًا نصفَ سنويٍّ للأفلام الأرمنية[١].

٢- شركة الفيلم الدولي Film International:

وتقع في لوس أنجلوس، وهي شركة متخصصة في إنتاج وتوزيع أفلام الفيديو الأرمنية فقط[٢].

٣- مؤسسة الفردوس MGN/Paradise. inc :

وهي شركة قوية تعمل في مجال الإنتاج السينمائي الأرمني، لها فروع في موسكو ويريفان، ولوس أنجلوس. ولها معاملات مع مجموعة القنوات التلفزيونية المهمة في عدة دول[٣].

(1) Armenian Film Foundation (AFF) www.armenianfilm.org .

(2) Film International, www.armenianfilm.org .

(3) MGN/Paradise. Inc, www.mgnparadise.com.

opelkanal.com

٤- شركة أفلام القوس Are Film :

وهي شركة أفلام تعمل في مجال الإنتاج الرقمي، أسسها روجر كوبيليان Roger Kopelian عام ١٩٩٤، وقد أنتجت الشركة عددًا من الأفلام الشهيرة في القضية الأرمنية، وتقوم بالترويج لمنتجاتها عبر صلاتها بالكثير من مواقع الإنترنت، وعبر مواقعها الخاصة[١].

٥- مؤسسة بارس للإعلام Bars Media:

وهو أستوديو لإنتاج وتوزيع الأفلام التسجيلية والوثائقية، مقره الرئيسي في يريفان، وله صلات بالعديد من القنوات التلفزيونية الدولية، ويقوم بإنتاج أفلامه بالتعاون مع الكتلة السوفيتية- سابقًا-، وكذلك المنظمات الأرمنية في المهجر، كما عمل في مشاريع مشتركة مع وكالات دولية مثل الأمم المتحدة، واليونيسكو وغيرها من المنظمات الدولية الكبرى[٢].

بالإضافة إلى هذه النماذج من المؤسسات الفنية العاملة في دعم القضية الأرمنية من خلال الميديا؛ هناك أيضًا مؤسسات وجمعيات أخرى تقوم بأنشطة إعلامية ودعائية لدعم القضية الأرمنية، أو دعم الدعاية الأرمنية.

ومن هذه المؤسسات:

١- الجمعيات الطلابية الأرمنية:

وقد صارت في السنوات الأخيرة أكثر نشاطًا عن ذي قبل، وتقوم بتقديم «خدماتها» في الجامعات الغربية عن طريق عرض الأفلام الوثائقية والتسجيلية وكذلك الأفلام السينمائية على الطلاب والمثقفين من الكادر الجامعي، بل إنها تنظم

(1) Are Film. www.arefilm.com

(2) Bars Media Documentary film Studio, www.barsmedia.com

operikandi.com

مهرجانات للأفلام الأرمنية داخل الحرم الجامعي، وتتلقى دعمًا من الجامعة عن هذه الأنشطة الثقافية والفنية، وكان أبرز مثال لهذه هو مهرجان السينما الأرمنية الذي تم في ولاية كاليفورنيا عام ٢٠٠١م[١].

٢- الكنيسة الأرمنية:

يمكننا اعتبار النشاط السياسي الأبرز للكنيسة الأرمنية في سبيل القضية الأرمنية؛ هو نشاطها في صناعة السينما، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، فهي داعم رئيس في إنتاج الأفلام وتمويلها، وإيجاد قاعات لعرضها، واستخدام علاقاتها واتصالاتها مع المنظمات الدينية لمشاركتها في توفير قاعات لعرضها ودعمها معنويًّا.

والمثال الحاضر لهذا هو عرض فيلم (أصوات من البحيرة Voice from the lake) في الكنيسة الأرمنية في ريتشموند بولاية فرجينيا[٢].

ولعله من الواضح أن عرض هذه الأفلام داخل القاعات الكنسية أو تحت رعايتها؛ يعطي صيغة دينية قوية لهذه الاتهامات، وصيغة أيديولوجية للمشكلة الأرمنية، ناهيك عن الصبغة المسيحية والدولية للمشكلة مقابل التصعيد الإعلامي ضد «الإرهاب الإسلامي» بعد أحداث ١١ سبتمبر.

٣- اللوبي الأرمني:

يتركز السكان الأرمن ككتل عرقية في مناطق ومدن معينة، وهو ما يسهل لهم أن يصبحوا قوة انتخابية ذات ثقل، تستطيع أن تملي رغباتها على المرشحين وتكتسب من

(١) San-Francisco Armenian Film Festival, www.viparmenia.com

(2) I bid.

obeikandi.com

ذلك أفضل الفرص والعروض، بل وأن تدفع هي بشخصيات أرمنية في المجالات السياسية لترتقي مناصب مرموقة في مجتمعات ودول المهجر. وكلا الجانبين له مردوده الداعم للقضية الأرمنية والدعاية الأرمنية.

إذ تتوافر القاعات الحكومية المجانية للعروض والحفلات والمعارض الأرمنية بل والفنانين كذلك، وهي منافع متبادلة بين الفنانين والقضية الأرمنية في تبادل العمل والشهرة تحت الدعم الحكومي الكامل، الذي يوفر- أيضًا- المصداقية للجميع[١].

ونجد الدول الأنجلو سكسونية- مثل إنجلترا- توفر دعمًا للمجموعات العرقية على أراضيها، وتوفر الحكومات المحلية لديها مساعدات مادية ومعنوية لهذه الأقليات لنشر صحف ومجلات ونشر ثقافتها الخاصة والتواصل مع المجتمع المحلي.

وعلى سبيل المثال أسس الأرمن في لندن جمعية (CAIA) في مبنى حكومي مجاني، واستخدام الدعم المادي الحكومي في نشر الكتب الأرمنية والمترجمة، وكان من أبرز أنشطة هذه الجمعية الدعم الكامل الذي أعطته للفيلم الأرمني الشهير «أرارات» ومخرجه أتوم إجويان. كما شاركت الجمعية في مهرجانات السينما الأرمنية، ومنها مهرجان الفيلم الأرمني الذي يعقد في لندن، وتعرض فيه الأفلام باللغتين الإنجليزية والأرمنية[٢].

(1)Erol Goka: « Ermeni Sorunu» nun (Gozden Hacan) psikolojik boyutu» Ermeni Arastirnealare Saye, 1, Ankara, Mays 2001, S. 128 -138.

(2) Armenian Studies, vol. 1, No.: 4, 2002, P.: 155197-, George Robertson: Aseventenn years overnight success. .

openkandil.com

٤- المهرجانات السينمائية الدولية:

لا تعتمد الدعاية الأرمنية فقط على المهرجانات السينمائية الأرمنية التي تركز على قضايا "الإبادة الجماعية"، وإنما تشارك بأفلامها في المحافل والمهرجانات السينمائية التي تدافع عن حقوق الأقليات الأخرى والقضايا المشابهة، كما تشارك الأفلام الأرمنية أيضًا في المهرجانات السينمائية العالمية، مثل:

- مهرجان تورنتو السينمائي (كندا).
- مهرجان كان السينمائي (فرنسا).
- مهرجان نيويورك السينمائي (الولايات المتحدة الأمريكية).
- مهرجان فلادلفيا للسينما العالمية (الولايات المتحدة الأمريكية).
- مهرجان روتردام السينمائي الدولي (هولندا).
- مهرجان جوتنبرج السينمائي (الدانمارك).

وثمة مهرجان دولي لأفلام الأقليات عقد في برلين عام ٢٠٠٤م شارك فيه الأرمن بشكل مميز[1].

٥- الأناجيل الأربعة للمسألة الأرمنية:

لم تحظ الكتب التي نشرت عن المسألة الأرمنية بما حظيت به أربعة منها باعتبارها مصادر أساسية لشهود عيان معاصرين للأحداث، ويكاد يكون مؤلفوا هذه المصادر الأربعة هم أصحاب أناجيل القضية الأرمنية، وما زالوا حتى اليوم يشكلون المصدر المعتمد لكل الكتاب حول المسألة، وصارت تعبيراتهم مُسَلّمات تاريخية، وكلماتهم اقتباسات ثرية للخطب والشعارات التي تلهب حماس القضية وأصحابها.

(1) One world Berlin, 2004, (One world international Human Rights Festival- Berlin, 2004).

obeikandl.com

وقد أُخضعت بعض هذه المؤلفات وأصحابها للبحث والتحري؛ لمعرفة دوافعهم وأيديولوجياتهم، والظروف المحيطة بهم وبمؤلفاتهم، لكن البعض الآخر ما زال يحتاج إلى البحث والتحري، بل وما زالت كلها تحتاج إلى جهود أكبر في مواصلة البحث عن العلاقات بين هذه المؤلفات، والعلاقات أيضًا بين مؤلفيها، ثم نشر هذه النتائج على نطاق واسع، يقارب- إلى حد ما- النطاق الذي انتشرت فيه هذه المؤلفات والمؤلفات الأخرى التي اعتمدت عليها بشكل رئيسي.

وهذه الكتب ومؤلفوها كالتالي:

١- كتاب حرره ليبسوس بعنوان: «التقرير السري للدكتور جوهانس ليبسيوس عن مذابح الأرمن» والذي طبع في باريس عام ١٩١٨ [١].

٢- كتاب «معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية»، وهو مجموعة شهادات جمعها السياسي البريطاني اللورد برايس عما يسمى بـ «الجينوسيد»، شرحها ونسقها وعلق عليها المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، ثم قدمها إلى اللورد برايس إلى اللورد جراي وزير الخارجية البريطاني، فقام جراي بتقديمها إلى البرلمان البريطاني. وهي مطبوعة في لندن عام ١٩١٦ باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وقد اشتهر- أيضًا- بعنوان «الكتاب الأزرق»[٢].

٣- ثم كتاب آرنولد توينبي نفسه المعنون «الفظائع ضد الأرمن؛ مقتل أمة»، والمنشور بالإنجليزية في لندن عام ١٩١٥ [٣].

---

(1) Johannes Lepsius: Le rapport Secret du Dr. Johannes Lepsius Sur les Massacres d·Armenie, Paris, 1918.

(2) James Bryce: Treatment of the Armenia in the Ottoman Empire, London, 1916

(3)Arnold Toynbee: Armenian Atrocities: Murder of Nation, London, 1915.

obeikandi.com

٤- وأخيرًا مذكرات السفير الأمريكي في إستانبول في بدايات الحرب العالمية الأولى هنري مورجنثاو، وكتابه: "قصة السفير مورجنثاو" الذي بدأ نشره في نيويورك سنة ١٩١٨ [١].

واللافت للانتباه في هؤلاء الأربعة ومؤلفاته، بل والمثير؛ هو العلاقة بين هؤلاء الأربعة، واشتراكهم في المصادر التي استقوا منها، واشتراكهم كذلك في الدوافع والظروف التي هُيّأت لتصنيف هذه المؤلفات.

وقد خَصَّصت هذا الكتاب لمناقشة ونقد هذا الكتاب الأخير، مذكرات السفير الأمريكي؛ لعل الله ييسر لنا أمرنا في استكمال مناقشة ونقد الكتب الثلاثة الباقية؛ بحثًا عن الحقيقة، الحقيقة فقط.

(1) Henry Morgenthau: Ambassador Morgenthau's Story, New York, 1918.

obeikandl.com